القول الصريح

« في الادب الصحيح »

ولد لي وانا على رأس الثامنة والستين من عمري — غلام سررت به لانه احدى الزينتين والصلة الوحيدة بين السلسلتين ، وحزنت من اجله إشفاقاً عليه « ولد الشيب » لا يُدرى في اي الاحضان يربى ، ولا يُعلم كيف يقطع عِقاب الحداثة حتى يبلغ مستوى الاستقلال في شؤونه ، فأحببت ان اترك له تراثاً أدبياً تصونه صدور الصحف حتى يترعرع فتمثله له مرشداً سوياً وناصحاً أميناً يقوم لديه مقامي بالتربية والارشاد ، اذ لامطمع لي بان أبقى حياً الى أمد يبي فيه ما أشافهه به من عبارات التأديب والتهذيب ، كما أشرت الى ذلك في صدر القصيدة الآتية الذكر مخاطباً اياه بقولي :

أبنيَّ انت وديعة الله الذي ... هو بالودائع خير من يتكفل
ابصرت نجمك في الديار وانني ... لإخال شمسي عن قريب تأفل
فإلى الآله وكلت امرك انه ... نعم الوكيل لنا ونعم الموئل

ان هذا التراث الادبي هو بلا ريب خير من تراث مالي ، قد تذهب به يد الإملاق وتغار عليه عاديات الأيام والليالي . وهو اي التراث الادبي قصيدة لامية نظمتها في تاريخ مولده تعد نحواً من مئة وثلاثين بيتاً ضمنتها قسماً عظيماً من مسائل الحكمة المدنية وعلقت عليها شرحاً موجزاً يستوعب نحو مائتي صفحة سميته (القول الصريح في الأدب الصحيح) بسطت فيه ما انطوت عليه القصيدة من المطالب والمقاصد مضيفاً اليها بعض زيادات سنحت لي اثناء تحريرها الذي جاد به اليراع صفواً عفواً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دون إجهاد قريحة ولا تكليف طبع ، مرصعاً اياها بفرائد فوائد اقتضبتها من فصول كتاب الأدب الكبير المنسوب الى عبد الله بن المقفع استزادةً للمقاصد الادبية مما لم آت به في قصيدتي ، تحاشياً من استكداد الطبع واقتساره في نظمه ، وتكريراً لافادة المستفيد ، مما نظمته تثبيتاً له في حافظته ، واستجلاباً لطرب القاريء ولذته ، بذلك الانشاء البديع ، وابتغاء تعويده السلوك على أسلوبه البليغ ، الذي انفرد به صاحبه بين أقرانه قادة الادب وجهابذة من ترسل وكتب ، غير مدخر في ذاكرتي بيتاً من اللزوميات بصلح للتمثل الا وتمثلت به في الموضع الذي يتطلبه ، والمورد الذي يستعذبه الوارد فيشربه ، مشيراً الى ما أثبته من فصول كتاب الادب الكبير بقولي (وفي الكتاب) في أوله وبحرف (ه) في آخره . والى ما أثبته من كلام المعري بحرف (م) في آخره .

وقد فصلت القصيدة والشرح تفصيلاً عنونت كل فصل منها بكلمة تشير الى فحواه وما حواه ، ورأيت ان اقدم لقراء هذه المجلة من هذه الفصول فصلاً كالنموذج ليس هو من أحاسنها ولا من منتخباتها وسأتبعه بثانٍ وأعززه بثالث ورابع وهو :

آداب المتكلم والمستمع

خفف على الجلساء ان حدثتهم ... ان المطيل حديثه مستثقل
واخفض اذا حدثت صوتك واجتنب ... ما اعتاده بحديثه المستعجل
هذب كلامك ولتكن الفاظه ... درراً بها سمع الجليس يجمل
نوع حديثك وانتقل فيه كما ... في الروض مصطبحاً تنقل بلبل
حدث باحسن ما انفردت بحفظه ... واترك أحاديثاً تعاد وتصقل
لا تذكرن قضية تصديقها ... عقل الذي جالست لا يتحمل
ودع الفضول من الكلام كقولهم ... أسمعت ام افهمت ام هل تعقل
هذي عكاكيز اللكونة فابتعد ... عنها والا استاء منك المحفل
ودع البذاء وان تحتم ذكره ... فأشر له بكناية تستجمل
لا تقطعن على الجليس حديثه ... اذ ليس هذا بالمهذب يجمل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واذا أتى بحكاية معلومة أظهر بانك للحكاية تجهل
لا تستعد منه الحديث فان ذا عبء على سمع المحدث يثقل

الشرح

(ايجاز الحديث) : من آداب المتكلم الا يطيل الحديث فيجتنب الاحاديث الطوال التي ينقضي باقتصاصها زمان المجلس ، فان ذلك بمجالس القصاص أشبه بمجالس الخواص ، فاذا كنت في مجلس منادمة او مناظرة وأفضت اليك نوبة التحدث فليكن حديثك موجزاً فان إطالة الحديث مما تستثقله النفوس ولا سيما نفس صاحب نوبة الحديث بعدك ، اذ هو بانتظر فراغك من حديثك انتظاراً يضيق به صدره حرصاً على حديثه الذي أعده في نفسه من ان يشرد عن فكره او يتحول مجرى الحديث عن مناسبته .

(خفض الصوت بالتحدث) : اخفض بالتحدث صوتك ولا تجير به اكثر من اللازم فان جهارة الصوت ربما نشأ عنها ضرر اذا كان حديثك مما يجب صونه عن غير جلسائك فيسمعه من هو خارج عن مجلسك من الجيران وغيرهم وينقله عنك وتكون عقبة ذلك ضرر عليك . ان جهارة الصوت تدعو الى الملل والضجر مهما كان حديثك جميلاً . ان جهير الصوت في حديثه غير محبوب ، ففي الاثر : (ان الله يكره الرجل الرفيع الصوت) .

فاخفض حديثك للمحدث جاهداً فدميمة الاصوات مرتفعاتها (م)

(التأني بإلقاء الكلام) : تأنَ بالقاء الكلام ولا تعجل به كيلا يصعب على السامع ادراك معنى ما تحدث به .

(تهذيب الكلام) : ولتكن الفاظك منتخبة وعباراتك فصيحة ، يفهمها العوام ولا ينكرها الخواص . وبذلك يلذ للمجلس سماعها و يتلقاها منك بسهولة فيجملها حلية سمعه وحلاوة ذوقه ، فان لفصاحة المنطق وعذوبة اللسان خلابة تستهوي نفس السامع وتؤثر فيها تأثير السحر . وهذا هو المراد بالحديث المأثور (ان من البيان لسحرا) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من النـاس من لفظه لؤلؤ يبـادره اللقط اذ يلفظ
وبعضهم قوله كالحصى يقال فيلقى ولا يحفظ (م)

(اخفاء الصوت واستقصاء النفس) : لا تخفض صوتك في التحدث الى درجة يحتاج معها الجليس الى مد عنقه نحوك ليتمكن من سماع حديثك . ولا تستقصي نفسك بالتحدث حتى ينفد ويسمع كلامك كأنه كلام من شدّ عنقه بحبل . صحح مخارج حروفك وانطق بالكلمات تامة .

(تنويع الحديث) : نوع حديثك في المنادمة والمسامرة ولا تقف فيهما عند موضوع واحد فان هذا مما يصد النفس عن توقها الى محادثتك . افتح في غضون حديثك ابواباً للمنادمة يدخل منها صاحب النوبة بعدك الى ضروب من الاحاديث ، وفنون من المحاضرة تناسب موضوع حديثك وتتفرع عنه ، فقد قيل ان من أدب الحديث وواجباته ان لا يقتضب اقتضاباً بل يتوصل الى اجرائه بما شا كله و يستنسب له ما يحق ان يجري في غرضه ففي المثل (الحديث ذو شجون) يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن اصل واحد الى وجوه من المعاني اذ كان العيش كله في الجليس الممتع .

(انتقاء الحديث وعدم تكريره) : ليكن تحدثك باحسن ما انت منفرد بحفظه من النكت والنوادر والاخبار ولا تتحدث باقوال مبذولة وحكايات مشهورة ولا تعد حديثاً أمام من سمعه منك ، فقد قيل جبلت العادات على كراهة المعادات . وفي الكتاب : واعلم انه يكاد يكون لكل رجل غالبة حديث لا يزال يحدث به اما عن بلد من البلدان او ضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف الناس او وجه من وجوه الرأي . وعندما يغرم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى . فاجتنب ذلك في كل موطن اه .

وفي الكتاب ايضاً من فاصلة أخرى : اعلم انه سيمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائعة فاذا أعجبتك كنت خليقاً ان تحفظها فان الحفظ موكل بما ملح وراع ، وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على التعجب من شأن الناس وليس كل معجب لك معجباً لغيرك . فاذا نشرت ذلك المرة والمرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك ، فانزجر عن العودة ، فان العجب من غير عجيب سخف شديد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد رأينا من الناس من تعلق بالشيء ولا يقلع عنه وعن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود اليه ثم يعود . ثم انظر الاخبار الرائعة فتحفظ منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما ما يرتاع الناس له ، فأكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالي ممن سمع وذلك مفسدة للصدق ومرزأة للمروءة ، فان استطعت الا تخبر بشيء الا وانت مصدق به ولا يكون تصديقك الا ببرهان فافعل . ولا تقل كما يقول السفهاء : أخبر بما سمعت فان الكذب اكثر ما انت سامع ، وان السفهاء اكثر من هو قائل . وانك ان صرت للاحاديث واعياً وحاملاً كان ما تعي وتحمل عن العامة اكثر مما يخترعه المخترع باضعاف اه .

(صون الحديث عن غير اهله) : في الحديث المأثور : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » فزن يا بني عقل جليسك ، وحدثه بما لا يكبر عليه تصديقه ، كيلا يتهمك بالكذب او المبالغة او فساد العقيدة فيما اذا كان حديثك في امور روحية تتعالى عن فطنته وتجل عن فكرته وفطرته . ولا يهون عليك بذل المصون من الحديث الى غير اهله ظنك بنفسك القدرة على اقناع السامع بالبرهان كيلا تقع فيما وقع به من الدمار من اخبر الملك بوجود طائر يسترط النار . وفي الكتاب : واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عابوه ، ونصبوا له ونقضوه عليك ، وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى ان كثيراً من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به اه .

وفي الكتاب ايضاً تحت عنوان : (فيما ينبغي للعاقل ان يسلكه ازاء العامة والخاصة) : البس للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروءة الا بهما لباس انقباض واحتجاز من الناس تلبسه للعامة فلا يلقونك الا متحفظاً متشدداً متحرزاً مستعداً ، ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة الثقاة من اصدقائك فتلقاهم بذات صدرك وتفضي اليهم بمصون حديثك وتضع عنك مؤنة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم . واهل هذه الطبقة الذين هم اهلها قليل من قليل حقاً لان ذا الرأي لا يدخل احداً من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والتكشف والثقة بصدق النصيحة ووفاء العهد اه .

(التحاشي عن الالفاظ البذية) : اخرج يابني من كلامك كل لفظ بذي تستحي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منه الفتاة المخدرة ، واذا اضطررت في غضون حديثك الى التعبير عما لا يليق ذكره فأشر اليه بكناية تستحسن ، الدين ينهاك عن الاتيان بالالفاظ البذية اشد نهي في القرآن العظيم : (ان الله لايحب الجهرَ بالسوء من القول) . وفي الحديث المأثور : (ان الله يكره الفاحش المتفحش البذي اللسان) .

(ترك الفضول في التحدث قولاً وفعلاً) : واياك وانت تتكلم ان تسعل او تتنخنح او تتجشأ او تتثاءب او تتمطى او تتلفت يميناً او شمالاً كأنك تترقب قادماً عليك ، او تمسح لحيتك ، او تلعب بشاربك ، او تفتل أصابعك ، او تشير بيدك ، او تصفق او تضرب ركبتك ، او كرسياً ونحوه موضوعاً في قربك ، او توكز جليسك لاستلفانه نحوك ، او تظهر منك غير هذه الامور الدالة على عيك وجمود قريحتك ، مما اشار الشاعر الى بعضه بقوله :

ملئٌ ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل اصابع

لا يسمح لك ان تأتي بشيءٍ مما سميناه في اثناء الحديث سوى الاشارة اللطيفة والتلفت القليل حين التفاتك الخطب السياسية او العلمية او الادبية على شرط ان يكون ذلك في محله .

لا تكرر الكلام على السامع ولا تعده عليه ، كأنك تعلله بذلك انه ما فهم كلامك لانه يتضمن معنى دقيقاً ، لا تقطع حديثك قبل استيفاء الغرض منه ، ونقل سوف اتمه : ففي فاصلة من الكتاب : ولا يكونن من خلقك ان تبتدئ حديثاً ثم تقطعه وتقول سوف اكمله كأنك روّيت فيه بعد ابتدائك اياه وليكن ترويك فيه قبل التفوه به فان احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف وغم اه .

لا تأت في كلامك بالفاظ حشوية يستعين بها العيّ على استحضار الكلام وتزويقه العبارة تزويقاً ينفر منه الذوق لظهور التقعر والتصنع فيه : مثلاً يقول كلما فاه بكلمة او كلمات (افهمت) او (اسمعت) او (هل تتصور ما اقول) او (نعم نعم) او (اي نعم) او (بحكي لسيدي) او (بقى سيدي) او (مش كده) الى غير ذلك من الكلمات الفضولية التي لا يحتاج اليها من يتأنى بالقاء الكلام ويكون فكره حاضراً يملي على لسانه ما يريد ان يقوله فيترجمه لسانه بافصح ما يكون . الالفاظ الحشوية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفضولية يسميها الناس (لازمة) او (محطة كلام) وهي جديرة ان تسمى عكاكيز العي واللكن ، فاجتنبها وعود نفسك على نبذها من كلامك لانها مما يثقل على السمع ويطيل الحديث بلا طائل .

وهناك عكاكيز أخرى تشف عن العي تارة وعن الملق أخرى . وهي قولك لمن تخاطبه او تكاتبه (تشرفت بفضيلتكم) او (بسماحتكم) او (بسعادتكم) او تعبر عن نفسك بقولك (عبدكم) او (خادمكم) او (محسوبكم) او (داعيكم) الى غير ذلك من الالفاظ التي يستثقلها السمع ويمجها الذوق فضلاً عن تطويلها الكلام ووقوعها عثرة في سبيل تفهيم المرام . على ان خطاب الجليس باسمه او بضمير المخاطب سنة درج عليها الصحابة الكرام في مخاطباتهم النبي المعظم (صلى الله عليه وسلم) فلم ينكر عليهم ذلك . وورد في القرآن العظيم اسماء الانبياء العظام والرسل الفخام مجردة عن تلك الالفاظ مع انهم يستحقون كل تفخيم وتعظيم . ونرى الآن الامم الغربية التي احرزت قسطاً عظيماً من الحكمة المدنية يخاطبون امراءهم وعظماءهم باسمائهم او باسماء وظائفهم فيقول احدهم للقائد العظيم يا حضرة الموسيو جورج مثلاً ، او يا حضرة الامبراطور جورج اقول لك كذا ويجري المتكلم بحديثه المجرد عن تلك الالفاظ السخيفة التي تطوق حرية الكلام بطوق من حديد : حسبنا ان نخاطب الكبير بقولنا (يا سيد) ومن دونه بيا عزيز والمنتمي الى العلم والادب بيا استاذ ومن كان موظفاً بخدمة باسم خدمته فنقول للقاضي يا حضرة القاضي وللوالي يا حضرة الوالي الخ .

ومما هو معدود من السخف والحمق ان تبدل مخارج حروفك فتقول في مثل حقيقة — حكيكة — وفي مثل قرش — كرش — وان تستعمل في اثناء حديثك كلمات أجنبية عن لغتك لما فيها نظير كأنك تريد بذلك ان تفهم جليسك انك ماهر في تلك اللغة او انك ترى ان الالفاظ الاجنبية التي استعرتها في حديثك هي أخف وأرشق من الالفاظ التي تؤدي معانيها في لغتك . مع ان جليسك الاريب لا يرى استعمالك تلك الالفاظ الا لاينفة واحتقار منك للغتك مما هو جدير ان يعد من قلة حميتك التي حملتك على هجر لغتك واهمال تعلمها والاهتمام بلغة أجنبية عنك .

(ترك الحلف والقسم) : من عرف بالصدق استغنى عن اليمين ، فاجتهد يا بني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان تعرف عند الناس بهذه المزية ، واجتنب في كلامك الحلف باسم الله او باسم احد الانبياء العظام ومشاهير الرجال او بالطلاق والعتاق او بغير ذلك من الايمان . ان كثرة الحلف التي تكون في كلامنا مما نعاب عليه ويعد من جملة نقائصنا ، فجرد كلامك من الحلف مطلقاً ولا تكن فيه كالقرو بين وسكان البوادي او من اكثر من مخالطتهم حتى صار كأنه واحد منهم فتراهم يأتون باليمين في مواضع من الكلام مستغنية عنه .

هذه الايمان معدودة من اللغو الذي لا يؤاخذ عليه قائله لانها تصدر عنه لا على نية الحلف والقسم بل تصدر منه عياً وإلفاً وعادة . غير انها مع ذلك مما يستثقلها السمع وتجعل اسم الله تعالى عرضة مبتذلة ولا سيما اذا كان الحديث ساقطاً يتخلله كلمات بذية وألفاظ مستقبحة . على ان كثرة الايمان تخالف المنهي عنه في الآية الشريفة : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) . وفي فاصلة من الكتاب : فأنما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخصال . اما مهانة يجدها في نفسه وجزع وحاجة الى تصديق الناس اياه . واما عيّ بالكلام فيجعل الايمان له حشواً ووصلاً . واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل قوله الا بعد جهد اليمين . واما عبث بالقول وارسال للسان على غير روية ولا حسن تقرير ولا تعويد له قول السداد والتثبت اه .

لا تحلفن على صدق ولا كذب فما يفيدك الا المأثم الحلف (م)

(لطيفة) : كان لنا صديق نجالسه ونسمر معه ، وهو حلو الشمائل، سخي الطبع ، نقي السريرة ، حسن المعاشرة ، صادق اللهجة سوى انه كان كثير الحشويات في حديثه كقوله (بعيد من قبالي) اذا ذكر شيئاً مستقذراً او (بلا قافية) اذا ذكر كلمة توزن كلمة مستقبحة او (دستور) او (بلا سوء ادب) اذا كلمة بذية او (بلا مؤاخذة) اذا أسند عيباً لاحد او (انت اكبر قدر) اذا ذكر حيواناً حقيراً الى غير ذلك من الكلمات التي اعتاد تحشيته في حديثه كثير من الناس عياً او ظناً منهم بانها مما يستدعيه الادب وانسجام الحديث . وكان هذا الصديق لا يفتر مع اتيانه بهذه الحشويات عن الحلف بالله العظيم على كل عبارة يقولها حتى صرنا ندعوه فيما بيننا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باسم (القائل بالله العظيم) . ثم اننا ما زلنا نتطلف بنهيه عن الاتيان بتلك الحشويات والحلف بهذا اليمين تارة بطريق المداعبة وأخرى بطريق الجد حتى اضطررناه الى ترك ذلك كله وصار حديثه كأنه فرائد الدر المنثور .

(الاكثار من كلمة ان شاء الله او باذن الله) : اعتاد كثير من الناس الاكثار من الاتيان بكلمة ان شاء الله او باذن الله في غضون حديثه عياً منه وعادة . وقليل من الناس من ينوي بهاتين الكلمتين التبرأ من اسناد الارادة الى نفسه خروجاً من شبهة الشرك . مثلاً يقول غداً ان شاء الله نجتمع معكم ونرى الحساب بيننا ان شاء الله تعالى فنوفيكم حقكم ان شاء الله و باذن الله ولا قوة الا بالله . وكثيراً ما تسأل واحداً من امثال هؤلاء عن صحة مريضه مثلاً فيجيبك بقوله صحته جيدة ان شاء الله فلا تفهم من جوابه هذا شيئاً ، وقد تسأله عن مسألة مضت وانقضت كأن تقول له هل حججت فيجيبك بقوله ان شاء الله تعالى يعني نعم حججت او تقول له هل انت صائم فيجيبك بقوله ان شاء الله تعالى يعني انه صائم او تقول له هل نفعك الدواء الفلاني فيجيبك بقوله ان شاء الله يعني نفعه الى غير ذلك من العبارات التي تكرر فيها هذه الكلمة فتكسبها طولاً وفي بعضها تفقد منها المعنى المقصود .

ان القرآن العظيم لا توجد فيه هذه الكلمة الا قليلاً مع انه قد اشتمل على كثير من الاخبار والوعود المضافة الى المستقبل . كما اننا تتبعنا الاحاديث النبوية واخبار الصحابة وعباراتهم في خطبهم ومسامراتهم فلم نجد فيما كانوا يعزمون عليه من المطالب والمقاصد سوى النزر القليل من هذه الكلمات . والظاهر ان السلف الصالح كانوا يستغنون عن الاتيان بهذه الكلمات باعتقادهم البات بان لا ارادة ولا مشيئة الا لله وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فجدير بالمرء ان يقتدي بالسلف الصالح و يستغني عن الاتيان بهذه الكلمة اعتماداً على اعتقاده الصميمي الذي ارتضعه مع لبن امه بان كل مفعول وكائن لا يكون الا باذن الله تعالى ومشيئته وانه سبحانه وتعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالنار لولا مشيئته لا تحرق والماء لولا ارادته لا يروي والخبز لولا قدرته لا يقوت ولذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استغنينا ان نقول في مفاعيل هذه الاشياء وأمثالها ان شاء الله اذ كان ذلك معلوماً لنا علماً متيقناً ومعتقداً عندنا اعتقاداً ممحضاً من كل شك وشبهة ٠

فاسمح اخي بحذف هذه الكلمة من عباراتك ان كان اعتقادك هذا خالصاً من شبهة الشرك والا فأت بها في كل حركة وسكون من قول وعمل فانها لا تزيل شكك ولا تثبت حسن اعتقادك ٠

آداب المستمع

يقول الحكماء تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ٠ وقالوا لا تحسن المعاشرة الا بحسن الفهم ٠ وقالوا الواجب على كل من أقبل عليه ملك او ذو رياسة بحديث ان يصرف كله الى ذلك الحديث وان كان يعرفه ٠ وفي الكتاب : اذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصاً على ان يعلم الناس انك قد علمته كان ذلك خفةً وشحاً وسوء أدب وسخفاً ، وفي فاصلة أخرى منه : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى ينقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول — واعلم — فيما تكلم به صاحبك — أن مما يهجن صواب ما تأتي به و يذهب بطعمه و بهجته و يزري به في القبول — عجلتك بذلك وقطعك حديث الرجل قبل ان ينقضي اليك بذات نفسه ٠ وفي فاصلة أخرى منه : اذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر الى غيره ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفس واحذر هذه الخصلة من نفسك وتعاهدها بجهدك اه ٠

ومن كلام الطائي في هذا الباب قوله :

من لي بانسان اذا أغضبته وجهلت كان الحلم بعض جوابه
واذا طربت الى المدام شربت من اخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بسمعه وبقلبه ولعله أدرى به

ومن آداب المستمع الا يستعيد الحديث كله او بعضه بان يقول للمتكلم ماذا قلت او أعد عليّ ما قلت ، فان هذا مما يثقل على قلب المحدث و يؤكد له ذهول المستمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعدم اعتنائه بالاصغاء الى حديثه اما استخفافاً به او جموداً من فكره الا ان يكون في سمع المستمع عاهة او ثقل فيسامح بطلب الاستفهام عن الحديث واستعادته وعلى المحدث ان يعيد عليه حديثه و يرفع به صوته على قدر ما يسمعه . ومن آداب المستمع ايضاً الا يظهر منه شيئاً يدل على رغبته باستعجال المتكلم واستحثاثه على الفراغ من حديثه بان يلقنه الكلمات التي يريد ان يقولها او يهز له رأسه هزاً متداركاً كأنه يقول له عجل بالفراغ من حديثك . ومن آدابه ايضاً الا يكثر بالاتيان بالكلمات الدالة على استحسانه الحديث واعجابه من نحواه كقوله (جميل والله جميل) او (عجيب) فان هذه الكلمات وأمثالها في استماع الكلام كالأباز ير في الطعام اذا قلت جاد واذا كثرت تطرق اليه الفساد .

* * *

ذكر وصايا لعبد الملك في هذا الموضوع

لما افضى الملك الى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه الى المحادثة والاشراف في أخبار الناس فلم يجد من يصلح للمنادمة غير الشعبي فلما حمل اليه ونادمه قال له ياشعبي : لا تساعدني على ما قبح ولا ترد عليّ الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الامير وكيف أمسي وكلني بقدر ما أستفهمك واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع اكثر من صواب القول ، واذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنك منه شيء وأرني فهمك من طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك في تطرية جواب ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي فان أسوأ الناس حالاً من استكد الملوك بالباطل ، وان أسوأ الناس حالاً منهم من استخف بحقهم . واعلم يا شعبي ان أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان و يسقط حق الحرمة فان الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه وعند إصابته وفرصته .

هذا ما وسعه المقام من هذه الرسالة دلالة على ما فيها وربما نقلنا منها نموذجاً آخر في فرصة أخرى .

عضو المجمع العلمي العربي

كامل الغزي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net